

Booker Prize-winning author of *The God of Small Things*

Arundhati Roy
MOTHER MARY
COMES TO ME



عرض كتاب

«Mother Mary Comes to Me»,
Arundhati Roy. 2025, Penguin
Books

أمي ماري تجيء إلي

أرونداتي روي في مذكراتها:
كتابة الذات؛ ذات الدولة، ذات المجتمع

أحمد الصادق

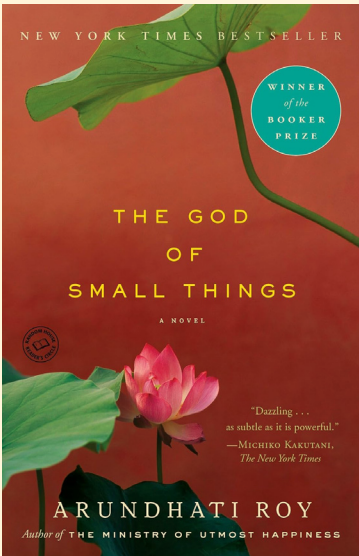
إلى الفتى قرقراب...

الفكر الاجتماعي النقدي، بالكتابة عموماً، وبالسردي على وجه الخصوص، وبمعرفة مُلتزمة بالفضاء العام على قول بيير بورديو، في روايتها المشار إليهما وجميع أجناس الكتابة الأخرى.

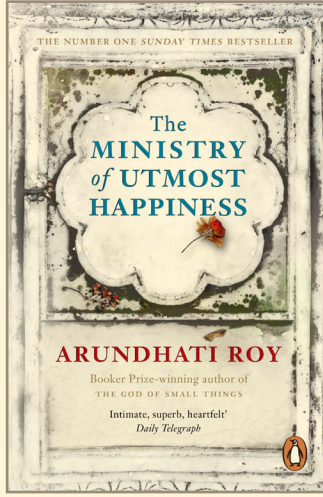
كتبت روي من قبل: «لم أشعر يوماً بأنّ ثمة حرباً بين أجناس الكتابة؛ سياسية كانت أم إبداعية... من الصعب التقاء المُخيّلة بالذاكرة أو الخيال بالواقع. لا ينبغي للواقع أن يصير إلى مُخيّلة ولا للمُخيّلة أن تصير واقعاً». تدين روي في كتابة هذه المذكرات إلى الناقد جون بيرغر (1926-2017) صاحب المؤلّف المحوري «طرائق النظر» 1972، وذلك لأنه ساعدها على فكّ التناقض المُحتمل بين أجناس الكتابة لمّا كتب

من بعد روايتين: «إله الأشياء الصغيرة»، التي حازت على بوكر 1997، و«وزارة السعادة القصوى» 2017، وعدد هائل من الكتابات المُتفرقة التي جُمعت في بضع مجلدات، مثل «دليل القارئ العادي إلى الإمبراطورية» 2004، و«قلبي المتمرد: كتابات غير سردية» 2019، و«أزادي: الحرية والفاشية والسردي» 2020، وحواراتها العميقة في «معمار الإمبراطورية الحديثة» 2024 (مع الكاتب والصحافي دافيد بارساميان صاحب الحوارات الأشهر مع إدوارد سعيد)، حيث كرّست كتاباتها لنقد الدولة والمجتمع والثورة كأبهي ما تكون الكتابة المفتوحة على التاريخ والمجتمع؛ هنا نحن بصدد عرض ومراجعة آخر مؤلفاتها: «أمّي ماري تجيء إليّ: مذكرات» الصادر في 2025.

في هذه المذكرات، نبشت أرونداتي روي، النجمة في سماء الكتابة الراتبية والمُلتزمة، في الصحافة والسياسة والأدب، مُنطلقَةً من موطنها كيرلا إحدى ولايات شبه القارة الهندية؛ تلك الذاكرة بالغة التعقيد، لتجسّد مثلاً حيّاً لمواطن البؤس والصراع الاجتماعي والعنصرية وخطاب الكراهية والعنف، وهي مثاقيل الكتابة ومشاغيل أرونداتي روي التي آلت على نفسها كتابة المشهد، بجميع وقائعه وأحداثه، بطرائق



هنا في مقدّمة كتابها: «ثمّة صور لأُمّي متفرّقة في مُعظم كتاباتي، إلا أنني لم أكتبها هي عينها كذات، هكذا هي أُمي ماري، التي صنعت مِنّي ما أنا عليه الآن: كاتبة وروائية. الكتابة متاهةٌ ينبغي فكّ مغاليقها حتى تُشعّ بذاتها وحتى يَسْتقيم منطقها وضرورة التمسك بموضوعيّتها دون إقبار للذات»، وذلك لأنّ



الكاتبة في هذا الكتاب أرادت تخليد والدتها وعُصبتها، لأنها ببساطة هي المأوى. تعكس هذه المذكرات علاقتها غير العادية مع والدتها السيدة ماري روي التي كانت بالنسبة لها «المأوى والعاصفة» في قلب هذه الكتابة الممتعة والشيقة. ومنذ طفولتهما الباكرة، أسست هي وشقيقها علاقة متينة مع ماما ماري. ليس ثمّة من حضور للأب إلا لماماً وفي ختام هذه المذكرات، حين فازت ابنته بجائزة البوكر. علاقة روي بماما ماري، هي إحدى آليات هذه الكتابة البديعة. تعلق قلبُ الصغيرة أرونداتي بالملاحم الهندية الكبرى «مهابا هارتا» و«راميانا»، في تلك المدرسة التي أسَّسَتْها ماما ماري وأدارتها باقتدار، فتشكّلت ذاكرة أرونداتي منها وصارت منابع إلهام ونبعاً صافياً أغترفت منه الحياة التي طالما لسعتها بوهجها:

لها بخطّ يده: «جميع كتاباتك، مُطلقاً، سوف تُساعدك على المشي حول العالم تماماً مثلما ساقيك الاثنتين». وأضافت هنا في هذه المذكرات: «... ما زلتُ هنا أقف على ساقَي الكتابة». بالفعل، تقف روي على ساقَي كتابةٍ مُختلفة، ليست بتلك الحميمية التي تُميّز كتابة السير الذاتية، أو كما علّق

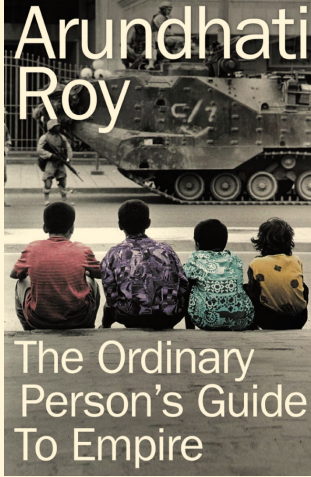
أحدهم في سياق مراجعته لهذا الكتاب: «وصّف مؤلم، حميم ومُلهم في الوقت ذاته، لحياة فتاة موعودة بأن تكون كاتبة... شكّلتها الحياة اليومية والبؤس التاريخي لولاية كيرلا حيث نشأت». وهذا هو جنس الكتابة الذي تنتمي إليه روي: كتابة الحياة، خاصة في هذه السيرة.

وفي اثنتين وأربعين وحدة، أفاضت روي، بكتابة حميمة وسرد ساحر، في نظم حكايتها وشخصها المحورية، هي ووالدتها ماري، أي كتابة الذات في أفق تماسّها مع العالم – ذات الدولة/ ذات المجتمع. بساقَي كتابة عارفة، نافذة ومُتوغّلة في الذات والموضوع، مُفتتحة لها، بالإحالة إلى مرجعية مُتخيّلها السردية «إله الأشياء الصغيرة» تقول عن والدتها: «أحَبَّتني بالقدر الكافي إلى حدّ أنها تركتني لأُمضي قدماً». وكتبت روي

اليومي والمعيشي والراهن السياسي. «لكم أحببت جماعة اليسار والحركيين من الماركسيين، وأحببت أجواء الثورة المستمرة، حتى فعل التخيل لتلك العوالم في إله الأشياء الصغيرة». التقت بهم الكاتبة لاحقاً، وكان نتاج ذلك اللقاء كتابها «أيام وليالٍ مع الرفاق» 2011. لم تكن ماما ماري بعيدة من

تلك الأجواء، فقد كانت لها حساسية غير عادية لكل سلوك ثوري أو فعل ثوري. قرأت معها شكسبير وكيبينج وشيء من «صعود وسقوط الريخ الثالث» لوليام شيرار، «هكذا كانت تربيتنا الثورية وتطورنا المعرفي بقيادة وتوجيهات ماما ماري».

أقامت ماما ماري مدرستها في منطقة جرداء، بوادٍ غير ذي زرع، يُطلق عليه «الهضبة العارية»، في ذات الوقت الذي سعت فيه المراهقة المُتمردّة والقارئة النهمة لدراسة المعمار. وبالفعل التحقت بإحدى الكليات حيث بدأت شقاوتها وشقاؤها في الكتابة،



ألم الكتابة، وكتابة ألم الإنسان ويؤس هذا العالم. هنا يكمن رباطها المُقدّس بماما ماري وقد صارت رثةً تتنفس بها وعيناً ثالثة ترى بها: «صرتُ أنفَس هذه الحياة معها في ذات الوقت الذي انزوت بل تلاشت صورة الأب؛ لأنه لم يكن شيئاً مذكوراً أو كما قالت ماما ماري. كانت حياة ماما ماري «ثورة مستمرة»،

تُعَلِّمنا مع تلاميذها معنى أن نكون أحراراً، كانت مناضلة صلبة وجسورة في جهرها بالحقّ حين خُفوته لدرجة استعداد بعض عناصر اليسار لها لكونها من «أعداء الطبقة»، وأنها تسلك سلوكاً برجوازيّاً بغيضاً، هذا على

الرغم من وقوفها بصلابة مع النقابات العمالية ومناهضة مظاهر الفاشية والظلم الاجتماعي».

يختلُّ إيقاع هذه السيرة أو المُذكرات ليتحوّل فعل الكتابة من كتابة الذات إلى نقد الدولة (السُّلطة) عموماً وصيغها المختلفة) ونقد المجتمع، من طفولة مرحة وسعيدة وأمّ عظيمة، إلى موسيقى



"Arundhati Roy is one of the greatest writers of our time"
NAOMI KLEIN



Arundhati Roy



Updated Edition

AZADI

Freedom • Fascism • Fiction

بعد قراءة «عوليسة»
جيمس جويس، وكيبليج
ونابوكوف، وكتبت
بطريقة ساخرة: «شكراً لكِ
ماما ماري لتعلمي القراءة
على الرغم من سيطرة
الذكور البيض من الكتاب
عليها... شكراً لكِ لأنكِ
أدركتِ ومن وقت مبكر أن
لابنتك قلب كاتبة». بعين
ثالثة، في عددٍ من فصول
الكتاب، كانت روي ترقب

ما سمته بؤس المشهد السياسي في الهند
وتفشّي الفاشية؛ إضافة إلى بضعة فصول عن
كيف كتبت روايتها، وزعمت أنها من بعد
فراغها من ذلك أدركت «قدرة الأدب على
إفشاء السلام والمحبة والألفة بين الناس...
تعلمتُ جميع الدروس من ماما ماري وهانذا
«أكتبها» هي بذاتها وبروحها، وتعلمتُ درساً
تاريخياً آخر هو أنني، بقدر ما أكتبُ عن
بناء السدود وتأثيراتها على البيئة والحروب
الأهلية ومناهضة الأنظمة الشمولية، مشغولة
بالكتابة عن الحب والموت».

حتى لحظة توقّف ذلك القلب
المُشاكس، ماما ماري، عن الخفقان كتبت
روي في ختام هذه المذكرات: «كان موت
أمي روايةً لن أجد مُخيّلة لكتابتها... يكفي
أنها كانت مُهمتي في كلِّ سطر كتبتُه، لترقد
روحها بسلام.»

وقرأت كثيراً، ومضت وراء
اهتمامها بالسينما فبدأت
حياتها ناشطةً في كتابة
سيناريوهات بعض الأفلام
القصيرة. وظلّ شبح ماما
ماري المُعلّمة والمُناضلة
الجسورة مُخيّماً على
المشهد، مُلقياً بظلاله
على حياة الشابة الناشطة
أيضاً، يعلو صوتهما مع
كلِّ خُفوت لصوت الحقِّ
انحيازاً جَسوراً لقضايا

كيرا من قضايا المنبوذين إلى قهر النساء
وحتى النشاط الأدبي والإبداعي. تلك
هي اللحظات التي قرّرت فيها روي أن
تصبح كاتبة، خاصةً حينما رأت بأَمِّ عينيها
إزالة السكن العشوائي وطرد سكان أسفل
المدينة، لحظات تكشف وعياً سياسياً
متقدماً لمشروع كاتبة يافعة مسنودة بأَمِّ
استثنائية.

في هذا الفصل والذي يليه، تحكي
تجربتها في العمل السينمائي بخاصة
وتحويل نصّ كولونيالي إلى فيلم روائي، نص
كولونيالي بائس. وتذكّرت لحظتها كاتبتها
الأثير فرانز فانون وكتابه «وجوه سوداء أقمعة
بيضاء» 1952. من ثمّ تنتقل إلى الحديث
عن كيف صارت كاتبة مُحترفة ووجدت في
الكتابة بيتاً لها. جاءت إلى عالم الكتابة بعد أن
قرأت كثيراً، حتى أنها خطّت أولى خطواتها



السودان ومحيطه

مجلة تصدر أسبوعياً عن
مركز سودان فاكس للصحافة



نعمل على السودان
من كل مكان

لاستلام نسخة (pdf) من المجلة أسبوعياً

على البريد الإلكتروني،
الرجاء مراسلتنا مرة واحدة على:
atar@sudanfacts.org

على WhatsApp أو Signal،
الرجاء إرسال رسالة تحوي كلمة «أتر» أو «Atar» في التطبيق على الرقم:
+254115438212

للانضمام إلى شبكة مراسلي أتر في السودان الرجاء مراسلتنا على:
atar@sudanfacts.org

لزيرة موقعنا الإلكتروني:
www.atarnetwork.com

 [@atarnetwork](https://www.atarnetwork.com)